[سلسلة خطب شيخنا يحيى حفظه الله{15}]

*[**الاعتبار بسنن الله الجارية بمرور الدهور والأعصار**]*

لفضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الجمعة ٣٠ من ذي الحجة ١٤٤٣ هجرية

مسجد ابراهيم بشحوح سيئون

*فرغها / **أبو عبدالله زياد المليكي***

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: إن انصرام الليالي والأيام، وانقراض الدهور والأعوام، لعبرة وعظة للأنام، قال الله جل وعلا حاثاً على الاعتبار ومرغباً في الانزجار والادكار:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

الأَبْصَارِ (2)}[الحشر:1]

فالمؤمن معتبر، من بصره الله عز وجل معتبر بمضي الليالي والأيام، والدهور والأعوام، معتبر بمن مضى قبله، معتبر بأحوال الصالحين والمفسدين، معتبر بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أمرنا الله عز وجل أن نتفكر ونتذكر سنن الله الجارية في خلقه، لنأخذ من ذلك عبرة، ونأخذ من ذلك موعظة، فقال عز من قائل :{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138)}[آل عمران:137]

أمرنا الله عز وجل أن ننظر في سنن الأولين؛ الخالية الماضية، وأن هذا بيان لنا، وأنه هدى وموعظة للمتقين، فيستفيد من ذلك المتفكر المتدبر المتعظ الناظر في سنن الله عز وجل الكونية الماضية، يتخذ من ذلك زاداً محاذياً إلى الآخرة حذراً من طريق الضالين، وسلوكاً لسبيل المؤمنين، ونظير ذلك قول الله عز وجل :{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} أي طرق الصالحين، سبل الصالحين؛ الأنبياء والمرسلين{وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)}[النساء:26،27]

وهذه من سنن الله، {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (28)}

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم، فمن حكمة لله عز وجل ورحمته بنا أنه يريد أن يهدينا الصراط المستقيم؛ سنن الأنبياء والمرسلين، كما قال الله سبحانه: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)}[الأنعام:153].

هذه وصية الله عز وجل للأولين والآخرين، سلك سبيل الأنبياء والمرسلين، قال الله:{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ}[النساء:31].

فهذه سنن الله، يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين خلوا من قبلكم، وهكذا من سنن الله الجارية ما أخبر به في كتابه بقوله:{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38)}[الأنفال:38].

نادي يا محمد وقل للكفار إن ينتهوا يغفر لهم، الله غفور، إنه كان غفورا رحيما، إنه كان توابا، وإن يعودوا يستمروا على ما هم عليه من العناد للحق والباطل والاستمرار على الضلال والانحراف، والمعاداة لأولياء الله، والجحود للأدلة الله الشرعية، فقد خلت سنة الأولين، علموها، علموا ما حصل بهم، علموا ما نكل الله عز وجل بأمثالهم، وأخبرهم الله عز وجل، وهم ساكنون الآن في مساكنهم، وسائرون في

مسارهم، كما قال سبحانه:{وَلَا تحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلًا عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ ۚ إِنّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43)وَأَنذِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الّذِينَ ظَلَمُوا رَبّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتّبِعِ الرّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مّن قَبْلُ مَا لَكُم مّن زَوَالٍ (44)وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ}

أي عرفتم أحوالهم وأنتم الآن تسكنون في مساكنهم، أمم قد خلت من قبلكم هلكوا بما ستهلكون به أنتم، فاعتبروا يا أولي الابصار، {وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45)وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)}[إبراهيم:41،46].

هذه كلها من قصص الله عز وجل، وسنن الله للعباد، ويذكرهم إياها، وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، قال الله:{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26)}[السجدة:26].

يعني لماذا لا يهتدون ولا يكون لهم واعظاً، لا يتعظون، لا ينزجرون، لا يعتبرون، لمن مضى وهلك، فكل أخذنا بذنبه، قال الله:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تّبَيّنَ لَكُم مّن مّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدّهُمْ عَنِ السّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ

(38)وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39)فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)} [العنكبوت:38،40]

هذه سنن الله الجارية، ليست الأيام والليالي الماضية، هذا يولد وهذا يموت، وهذا يشقى وهذا يسعد، وهذا يقوم وهذا يسقط، إلا لأن تعتبر أيها المسلم، واتخذ من ذلك عظة وعبرة وزاداً إلى الدار الآخرة، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى مبيناً سننه لعباده المرسلين، مبيناً طرقه لعباده المؤمنين أيضا،: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)}[الأعراف:69].

أي تذكروا نعم الله وآلاء الله عليكم، وآلاء الله على من مضى الله، وآلاء الله ونعم الله على الصالحين، ونقم الله، وعقاب الله على الكافرين المعاندين، قال الله:{وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (59)}[الكهف:59]

وقال الله:{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83)فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84)فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85)}[غافر:83،85].

{ سُنّتَ اللهِ الّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}

أي فيما مضى،{وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكافِرُونَ (85)}

فهذه سنن الله الجارية أن من تمرد على طاعة الله لا ينفعه أن يتمادى، وأن يفتن في الأرض، حتى حضر الموت وحضر الغرغرة قال إني تبت الآن، {إِنّمَا التّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17)وَلَيْسَتِ التّوْبَةُ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السّيّئَاتِ حَتّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ ۚ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)}[النساء:17،18].

هؤلاء ولا هؤلاء، لا للذين يتمردون وماتوا على الكفر، ولا الذين يريدون التوبة عند الغرغرة،{إِنّمَا التّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ}

فكل من تاب في حين قبول التوبة تاب من قريب، وكل من تأخر وتباطأ وأمهل حتى حين لا تقبل التوبة لا تقبل توبته، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وفرعون فماذا استمر، تارة في ادعاء الربوبية، وتارة في التقتيل والتشريد، وتارة كذلك في العناد والفتنة، إلى ما تعلمونه مما ذكره الله في كتابه، ولما أغرق وبلغت الغرغرة وبلغت روح الحلقوم، قال الله عنه

{حَتّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الّذِي آمَنَتْ بِهِ

بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)}. قال الله عز وجل: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)}[يونس:90،92]

فأهلكوا الله، وأخرجه للناس ينظرون ويعتبرون ويتعظون، آية لهم أن سنة الله الجارية في المعاندين والمفتنين والمتمردين على شرع الله أنه يهلكه، وإن تمادى أمرهم، إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وقال سبحانه : {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (103)}[هود:102،103].

هذه آية، هذه عبرة، هذه عظة، لكن لمن خاف عذاب الآخرة، هكذا يبين الله سبحانه وتعالى سنن أهل الأمة ويدلهم على ما هو من أسباب عظتهم وعبرتهم ليكن ذلك زاجراً لهم، عن المآثم والجرائم، حافزاً لهم على الطاعات والمكرمات إلى الله سبحانه وتعالى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله القائل في كتابه مبيناً فضل المؤمنين:{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73)} [الفرقان:73].

فأثنى الله عز وجل على المؤمنين بأنهم يعتبرون ويتعظون، ويدكرون وينزجرون، وأن ذلك نافع لهم عند الله عز وجل، وأخبر عن الكافرين قال:{وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13)وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14)}[الصافات:13،14].

يعني لا يعتبرون بها، {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)}[التوبة:124،125].

أيها الناس : إنه يجب على الإنسان أن يديم التفكر، وأن يديم الاعتبار بتذكر ما هو صائر إليه، اكثروا ذكر هاذم اللذات، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، للاعداد والنظر فيما نحن قادمون عليه،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ

جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)}[الحشر:18،21].

الله ضرب لنا الأمثال، وذكر لنا القصص، وأبان لنا ما نتقي، كل ذلك لنأخذ عبرة وعظة، ونسلك مسالك الصالحين، كما قال سبحانه وتعالى:{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69)}[النساء:69].

وإن أعظم ما عصي الله عز وجل به وأعظم ما يجتنب به الإنسان أضراره وأخطاره على نفسه وغيره لهو الجهل؛ لهو الجهل بالله، فكل من عصى الله عز وجل فهو جاهل، كل معصية تقترف تقترف بالجهل، لا تقترف بالعلم، فإن العلم عظة وعبرة ووازع، وإن الجهل هو السبب في كل بلاء على الأمة، في كل بلاء، وبقدر

ما يجهلون يهلكون ويضلون، ففي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"إنّ اللّهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ منَ النّاسِ ، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العُلماءِ ، حتّى إذا لم يترُك عالمًا اتّخذَ النّاسُ رؤوسًا جُهّالًا ، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ عِلمٍ فضلّوا وأضلّوا"؛البخاري (100)، ومسلم (2673).

وهذا الحديث بين واضح أن الضلالة هي بسبب الجهالة،

حين زال العلم وأهله وحل الجهل وثبت الجهل حصل الضلال في الأمة، وحصل القضاء بغير ما أراد الله عز وجل، في حديث بريدة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"القُضاةُ ثلاثةٌ ، اثنانِ في النّارِ ، وواحدٌ في الجنّةِ ، رجلٌ علِمَ الحقّ فقضَى بهِ فَهوَ في الجنّةِ ، ورجلٌ قضَى للنّاسِ علَى جَهْلٍ فَهوَ في النّارِ ، ورجلٌ جارَ في الحُكْمِ فَهوَ في النّارِ ، لقُلنا : إنّ القاضيَ إذا اجتَهَدَ فَهوَ في الجنّةِ"؛أخرجه أبو داود (3573)، والترمذي (1322)، وابن ماجه (2315) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (5922).

هذا دليل على أن تصور الجاهل تصور خاطئ، وأنه يوقع الناس في الضلالة، فلهذا يلقي بنفسه إلى عذاب الله، يقضي بالباطل، يقضي بغير ما أنزل الله عز وجل، الله جل وعلا يقول :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)}[المائدة:49،50].

ألا ترى أنه يوقع الناس في الضلالة والمخالفة للأدلة بسبب الجهالة، هكذا في صحيح مسلم(934) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أَرْبَعٌ في أُمّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيّةِ لا يَتْرُكُونَهُنّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ،

والنِّياحَةُ.

هذا معناه أنه بقي من أمور الجاهلية في الناس أمور ما يتركونه، وهذا على سبيل الذم والقدح، فخر بالأحساب، إذا لم يبقى معه من مكارم الآخرة ومن الدين إلا الحسب فقط، أو النسب فقط، ويعظم لك النسب، ويعظم لك الحسب متغافلاً متجاهلاً عن أعظم كرامة،{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)}[الحجرات:13].

إذا لم يبقى معه إلا هذه هذا من أمور الجاهلية، {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} قال الله:{ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)} [المنافقون:8].

هذا يدل فخرهم بالأحساب، والأنساب على جهالتهم لأنهم لا يفقهون لا يعلمون، لا يفقهون دين الله، هكذا النياحة من أمور الجاهلية، فيها من التكلف، وفيها كذلك أيضا من التصنع مما كان من شؤون الجاهلية، قال: النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَومَ القِيامَةِ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ.

هكذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا ما عصي الله سبحانه وتعالى بأشد من الجهل به يقترف الشرك بالله، ما ثبت عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن النبي صلى

الله عليه وسلم كان مر يوم حنين ومعه بعض المسلمين الجدد من أهل الفتح، مروا بمكان يعلق المشركون فيه في تلك الشجرة سيوفهم للبركة أنواط معالق، قالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط فما لهم ذات أنواط، أي شجر نعلق سيوفنا نتبرك بها، قال: الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون.

بسبب هذا الجهل اقترف قوم موسى الشرك بالله، وأنهم يريدون أن يعبدوا غير الله عز وجل، وأن أولئك أرادوا أن يعلقوا سيوفهم للبركة، إنكم قوم تجهلون، {إِنّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبّرٌ مّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139)}[الأعراف:139].

متبر : أي هالك، وكلا تبرنا تدبيرا أي أهلكنا اهلاكا، هكذا يُقترف الشرك وما دون الشرك بالجهل، ولهذا لما قال موسى عليه الصلاة والسلام:{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)}[البقرة:67].

أي هذا استهزاء وأمر الناس أوامر على غير حقيقية ليس عن الله ولا من دين الله، هذا ليس إلا من الجهل، أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ونبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام يقول :{وَإِلّا تَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنّ أَصْبُ إِلَيْهِنّ وَأَكُن مّنَ الْجَاهِلِينَ (33)}[يوسف:33].

أي أن الجاهلين هم الذين يصبون إلى الباطل، العلم لا يدل على الباطل ولا يجر إليه، ولكن الجهل هي التي تجر إلى المعاصي، فكل معصية تقترف بالجهل، قال الله سبحانه: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)} [النساء:26،27].

الشهوات لأصحاب الشهوات، وأصحاب الشبهات والجهال هم الأذلاء على الفتن، هم الذين تقترف بسببهم الفتن، وفي صحيح البخاري(6882)عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"أَبْغَضُ النَّاسِ إلى اللهِ ثلاثةٌ: مُلْحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنَّةَ الجاهِلِيَّةِ، ومُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ.

والمعنى أن من كان عنده جهل أنه يقلد الكفار، ويدخل في الإسلام سنن الجاهلية، والتشبه بأعداء الله، بسبب الجهل فيقترف تقليد الكفار، والتشبه بهم، والوقيعة في الإسلام، والخيانة للإسلام، والاضرار بالإسلام، الدخل على الإسلام، كل ذلك بسبب الجهل، فأبغض الناس إلى الله ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه.

فبسبب ذلك تقع كل عظيمة في الأرض بسبب الجهل، وتنسى سنن الله في الأولين والآخرين، ويندرس دين الله سبحانه وتعالى،ولا يقوم عبادة الله كما أحب وشرع إلا على رفع الجهل عن نفسك أيها المسلم وعن غيرك، فما تراه وتلحظه من الأمور من قديم وحديث في شركيات وبدع وخرافات، وغير ذلك من الضلالات، كل ذلك بسبب الجهل،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)}[الحجرات:6].

فأنت ترى أن إصابة القوم بالأقوال والأفعال والظلم وما إلى ذلك من الاضرار والأخطار الواقع من الناس من بعضهم على بعض كل ذلك بجهالة، سبب الجهالة، فلو علم الإنسان ما أراد الله وطبق دين الله عز وجل انتفع به لا يكون منه، ولهذا وصف الله أهل العلم بأنهم أهل الخشية قال:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[فاطر:28].

ما يحصلون ورائهم جهل، قال الله سبحانه وتعالى :{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)}[الفرقان:63].

بلى يأتي من الجاهلين حتى في خطابهم في كتابهم في أقوالهم في أفعالهم ارهاقاً للأمة بسبب الجهل، قال :{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55)}[القصص:55].

هكذا سنن الصالحين وطريقة الصالحين الاعراض عن

الجاهلين لما عندهم من البلاء، إنما الشاهد أن البلاء كل البلاء في الأمة يحصل بجهل دين الله، وكل ما عصي الله سبحانه وتعالى به عصي بالجهل بدين الله، بالله بعظمة الله، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)}[الزمر:67].

حتى إن الجاهل يسيء الظن بربه:{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}[آل عمران:153،154].

فلما أن جهلوا ساؤوا الظن بربهم، بمواعيد الله سبحانه وتعالى، بنصر الله، بعزة المؤمنين، بإذلال الكافرين، هذا كله صادر عن الجهل، فيا معشر المسلمين الله الله في العناية بما هو أسباب تذكركم وانزجاركم وادكاركم وانتفاعكم وتفقهكم ومعرفة ما أنتم فيه وصائرون إليه، وكل ذلك لا يكون إلا بإقامة دين الله، وشرع الله، والتفقه في دينه، ورفع الجهل الذي ضرب بأطنابه، فما يأتي من وراء ذلك إلا القتل والقتال، والفتن والهرج والمرج، كما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:إنّ مِن

أشْرَاطِ السّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَكْثُرَ الجَهْلُ، ويَكْثُرَ الزِّنَا، ويَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلّ الرِّجَالُ، ويَكْثُرَ النِّسَاءُ حتّى يَكونَ لِخَمْسِينَ امْرَأةً القَيِّمُ الوَاحِدُ.البخاري (5231)، ومسلم (2671).

هكذا نتائج بعضها من بعض، فهذا الهرج والقتل والفتن وتقليد الكافرين وغير ذلك كله والله بسبب ارتفاع شيء من العلم وضروب الجهل في أوساط الناس، وهكذا يسعى أعداء الله إلى تجهيل المسلمين بدينهم، وإلى التشويش إلى أذهانهم في شرعهم، وعدم التمسك بما أتاهم الله عز وجل من نعمة،{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)}[النور:63].

نسأل الله جل وعلا أن يمن علينا وعلى المسلمين بالفقه في الدين، وأن يجعل عامنا هذا عاماً مباركاً، وأن يجعله عام خير وبركة ونعمة وأمن وأمان وسلامة وإسلام، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.